نفاق اجتماعي

في مجلس جمع مجموعة من الرجال مع شخصية من (ذوي الوزن الثقيل) ظاهريا في المجتمع ، وقد تحدث عن أحد الموضوعات التي تعدّدت حولها وُجهات النظر وتباينت الآراء بشأنها ، وقد أنصت الجميع لحديثٍ الرجل وكأنّ على رؤوسهم الطير ؛ فلا ترى إلاّ هزّ الرؤوس تعبيرا عن شدة الموافقة وعِظم الإعجاب ، مع أنّ صاحبنا ركيك الحديث سمج المنطق في مستوىً متدنٍ من التعليم ، ولا أظنٍ أنّ تلك الآذان الواعية قد ألقت سمعها استمتاعا بحديثه ولا طربا لمفرداته ولا موافقة لأطروحاته. والمفارقة العجيبة أنّ ما أعلمه أنّ الكثير من الحضور كان يخالف المتحدِّث في رأيه جملة وتفصيلا ، ولكن سوّلت لهم أنفسهم الموافقة والتظاهر بالإعجاب لا لشيء إلا لأنه من ذوي الوجاهة الاجتماعية والمحسوبين على رجال المال والأعمال فطغى النفاق الاجتماعي على لغة الكلام .

وبكل أسف فإن بعض الناس يعيشون في عقول الآخرين ويسكنون في جلابيبهم ، ويبحثون عما يوافقهم فحتى سديد الرأي لا تجده يتحدث إلا بما يرضيهم ، ولربما تطوّر الأمر إلى أن يأكل ما يشتهون وقد يشرب ما يقطع أمعاءه موافقة لرغباتهم ، وقد يبكي لما يضحكهم ؛ وأحيانا يضحك مستلقيا على ظهره لأمر مؤلم يستدرّ الدمع ولكنه النفاق الاجتماعي فرض هذه المواقف على بعض السذج من الناس .

فأي حياة تلك وأي شقاء هذا ؟ ضعف وانهزامية وتبعية تكاد تكون مطلقة وفي أمثال هؤلاء يقول الشاعر :

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعةٍ وثريدِ

وأعتقد أنّ الخوف والإفراط في المجاملة كلها أمور حالت بين بعض الناس وبين المضي في التعبير عن آرائهم ، وأقوالهم فلا

تخف، فلن يقع في هذا الكون شيء إلاّ بإذن الله :(وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ...)[1]

والصحيح إنه يلزم الرجل ألا تطغى المجاملات على عدم قول الحق في حينه وبالمقابل لا يكون من أولئك الذين لا يتقبلون أحاديث الآخرين ولا يحسنون الاستماع إليها فكما يقولون : إن البلاء موكل بالمنطق .

فالتوسط في هذا الجانب أمر مطلوب ؛ فلا يكون الرجل معانداً رافضاً لكل ما يقول الآخرون ، منتقداً لطروحات غيره ؛ وبالمقابل لا يكون جباناً لا يشارك الآخرين مناقشاتهم ووجهات أنظارهم مهما علت مراتبهم ومهما ارتفعت أقدارهم ، ولابد من تسجيل مواقف إيجابية في مجالس الرجال تُحسب للرجل بين قومه وبني عشيرته التي تؤويه .

---

(١) سوره الأنعام ايه ٥٩.